فى الأدب

بربا أبى سنبل

تحريره : —

معبد منحوت فى جوف الجبل ، على غير مثال المعابد المصرية ، لذلك فإنه يعد أثرا غاليا لايدانيه فى عظمته أثر . أنشأه « رمسيس الثانى » على أثر انتصاره فى حرب الحيثيين وحلفائهم التى دامت خمس عشرة سنة ، واقع على ضفة النيل الغربية بنحو ١٧٠ ميلا جنوبى الشلال ، زرته فإذا به رمز حى لفن خطير ، وملك كبير : أربعة تماثيل ضخام تزين صدره ، ترمز إلى « رمسيس » وهو جالس على عرشه . وراء مدخله ثلاث ردهات على استقامة واحدة . بالأولى منها ثمانية تماثيل عظام للاله « أوزيرس » كل ردهة خاصة بطبقة من الشعب عند تأدية صلاة الجنازة ، تنتهى تلك الردهات إلى مذبح منصوب على الملك ، تزين حائطه الصدرية أربعة تماثيل على صف واحد ، ثلاثة منها لآلهة مختلفة الأسماء ، أما الرابع فلرمسيس ، وعلى حيطان الردهات والحجر المحيطة بها نقشت أخبار انتصاره ، وعز ملكه وجلاله . . . وكثير وكثير مما لايحصيه حساب : فى هذه الناحية التاريخية وضعت القطعة الآتيه : —

« ٥ »

. . . . وعلى « بربا أبى سنبل » أشرفت ، وأبصرت بعينى وحيت !! . . . .

سرحت النظر مشوقا مرتين ، وأرجعت البصر خاشعا كرتين !! . . . .

استعرضت واجهة الكنز المدخر !! وكبرت لتلكم الشواهد الكبر !!! . . . . . .

أخذتنى الروعة ! وتحركت بين جنبى لوعة !! . . الأولى لفن الرائع ، والأخرى للمجد الضائع !!! . . . .

« وبعد » فما « البربا » وما الخبر ؟؟؟ ! وما العيان وما الأثر ؟ ؟؟ !! . . . . .

« ٥ »

معبد منحوت ، بآلة الجبروت : هو آية المجد وسر العظموت . . .

سفر عزيز الصحائف ! رائع الزخارف ، فيه من تاريخ « رمسيس » نفث . . . . .

برهان ساطع للعبقرية ! وإحدى البينات فى كتاب الأثرة !! ثم هو من وراء ذلك تاج همة فنية .....

مثال جبار وعبرة أجير ، أذاعت ذكرى « رمسيس » الأكبر .....

لأن الجبل المثال ، فجعت فى صخره مأثرة للأجيال ...

أطلقت يا « رمسيس » الصخور بعظمتك ، وسخرت الجبال فى غايتك ! فتلاشت روائع الآيات فى آيتك .

أسئل تتم بنيان ، وصور حية لفنان ، اختار مجده حتى يمكن للأرض دوران .....

فمن عز على الأقوام : خشعت حياله أبصار الحوارج العظام ! وتواضعت بين يديه رقيمات الهام !! ... زهرة فى شجرة التاريخ فنها التنوع والأنام .....

لولا البراعة الهندسية لحسبته الكهف أو الغار ، لأن المألوف فى بناء الدار ، أن تقام على ركن وجدار ... ، ولكن النحات أخال من الجبل حنيته ، واتخذ من الصخر طينه ، وفتت أكباد الصلد الدقيقة .

ooo

ما « البرنا » وما الخبر ؟؟! وما البيان وما « الأثر » ؟؟!..

تماثيل ومحراب ! وهياكل وأنصاب !! وحراس وحجاب !!...

ردهات منظمة ! وأمكنة للصلوات مقسمة !

حف الآلهة بالملك : ككريمة العقد فى وسط السلك !! هو فى الصف القمر !! وهم من حوله الكواكب الأخر !!.. فى مذبح هو الحرز الحريز !! لا يتخطاه عظيم أو عزيز !!..

إمام وشعبه مأموم !! كل « له مقام معلوم » ومنازل ومراتب فى علم « رمسيس » ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » ؟ ؟!!..

أما الحرب فأنت طاغيها !! وأما السيوف فأنت ريها وباريها !!..

يامسعر اللهيب فى الوغى ؟ ! سددت سيفك فى نحر من بغى ؟ ! وأصليت بنارك من طغى ؟!..

ظئرك صغيرا فأكبرت قدرك ، وحزمت فيهم أمرك ... وأخذت الأهبة ، واستجمعت قواك الوثيقة ...

جندت الجنود ! وكنت القائد وجيشك المقود ...

علمتهم هناك كيف تكون الشجاعة !! وكيف الحصون وكيف المناعة ؟؟!! وأخيراً رفرفت أعلام النصر لرجل الساعة !!.. وانحنوا بأمرك سمعا وطاعة !!....

سل « الفرات » ؟!.. كم سجل الفتح على دولته الموات ؟!!...

وأين كنت وأين كان « نهر العاص » ؟؟!! وعلام قدم سادته القراءين وطلبوا الخلاص ؟؟!!..

ثم ما أشفقك بماء « الكلب » ؟؟! حتى شردت من حياضه الأهل والصحب ؟!!... وهل أشهدت مجراه على آثارك ؟ وأنطقت صخوره باقتصارك ؟ ؟ ؟

ولم امتدت أطماعك إلى « بلاد النهرين » ؟!! ولم منعت شعبها الماء وأذقته الأمرين ؟!. وهل خلفت هناك نمالك ؟؟ يملى على أجيالهم جلالك ؟ ؟ ؟!...

وكيف تركت « نادش وحلب » ؟؟ بعد أن أصليتهما العذاب وألحقت بأجليها العطب ؟!!..

عرفنا أن الدم فى « فلسطين » سال على جنبات السيف والعزم الرصين !!!..

فما الذى أغراك على بقعتى « عسقلان وأورشليم » ، هل كانتا أحصن من قلبك العظيم !!...

غاب عن الأعداء الحشر والعاد ، فأقمته لهم فى (أرواد) !!!...

تاوك التوبيون ، فعلمتهم كيف يتوبون ويثوبون ، وأذقتهم الهون ، وأنزلتهم المنزل الدون !!..

وكم ثرت أشلاء ، وأرفت دماء ، وكم ابكيت « خنساء » ، ولم تستجب لتكلى دعاء !!!...

بامثل الجبابرة ، قد علوت شأوا على القياصرة والأكاسرة ، وصيرت الدول بين ضائعة وحائرة !!!...

سددت على القوم المسالك ، وأسست ملكا على أنقاض ممالك ، وصاروا مثلا بين أسير وهالك !!.

صيبت عليهم الويل لأنهم خالفوك ، وضربت عليهم الذلة فقالوا « إنا محالفوك » !!!...

فعفوت عفو الأمجاد ، ووقف السيف واكتفى الجلاد !!..

وصفح (ست) عن (خيتا) ، وخضع الحيثى لابن (سيتا) ، (١)

« بنتاءور » (٢) رهيب دولتك ، التائع فى ظل رايتك ، رضع ثاجك بذر القريض إقرارا بنعمتك !!!..

---

(١) — ست سيد المصريين ، خيتا — ملك الحيثيين . رسمت صورتهما منحنيتين على رأس العالمة فى لوح من الفضة (٢) بنتاءور — الشاعر المصرى القديم . ولم يبق من الشعر يتلح به رعمسيس ، منقوش على إحدى حيطان المعبد

مجد خلد ، وشعب عبد !! والقاضى والدانى لفرعون سجد !!...

بذلك نطق الحجر !! وسجل الاثر !! والعبد لمؤسسه ادكر !! أبداً عن غاب وكأن حضر !!.

٥٥٥

ما « البربا » وما الخبر ؟؟؛ وما العيان وما « الأثر » ؟ ، ، ..

كتاب مسطور ، وبيت معمور ، وبحر مسجور !!...

سجل هم كبار ، محيط الأخبار ، غزير الورد كريم الأصدار ...

شجرة عجيبة الثمار ، نكهة الطعم فى أفواه السمار ، ...

عز خالد ، وكنز آبد ، وفخر الوالد ومجد الوالد ....

كعبة الأجانب ، من كل جانب ، وقبلة الأفواج ، من جميع الفجاج !!... سواح أمشاج ، وزوار وحجاج ، ...

يا « رمسيس » قم واشهد ، . أقواما أمت للعبد !!...

نساء ورجال ، زعماء وأبطال ، شدوا إليه الرحال !! وأنفقوا العزيز والغال !! وطائل المال !!.

منهم من سعى إلى التقديس !! فخلع من الدنيا دوره النفيس !!!.. ومنهم من أبى يمتع النفس والنظر !! ثم لا يستحيى إن عاد فكذب قومه الخبر !!!.. هؤلاء يخلدون إلى شريف المفاخر !! وأولئك يستوجبون حقد السرائر !!!...

« ٥ »

ياعرش « رمسيس » ثناء !! وإن قوضك الخلفاء !!! ثم لم يحسنوا من بعدك البناء !!..

طبيعة تحول !! وحال تزول !! وزمن يغول !!...

دالت الدولة ! وهزلت الصولة !!.. وغمد السيف ! واختفى الطيف !! . .

ملك حملته القرون ! ! ووضعته السنون ! ! ! سدد إليه القدر أسنته !! فمزقت سداه وأكلت لحمته ! ! ! ! . . . .

تناهبته شر الدول !! فنضت على يا أسى الأول !!! واكتسحوا الديار !! وأشعلوا فى جنباتها النار !!! إمعانا فى الذات !! وإشباعا لوحشى الشهوات !! . .

دكوا المعاقل !! وهدموا المياكل ! وشوهوا الآثار ! ونقضوا الجدار !! . .

وأطفئوا بالجهالة نور العرفان !! وطمسوا الكثير من آى القنان ! . . .

* * *

وبأبها الوطن سلام ! وإن كادت لك الأيام . فقد من الله عليك بنعمة الأسلام . . .

نشرنا أرجاءك النور . . ومحا الحق آية الزور . . وسايبك ملوكه البدور . . .

أعادوا المجد رويدا إلى أهله . وردوا الحكم إلى أصله . بجماله النبوة ومجده اسم الله . لا يعبدون من دون الله . . ولا يقضون إلا بكتاب الله

وأخيراً قيض الله لك الأسرة العلوية . فنشرت صحف المجد المطوية

« محمد على » رأس عزتها ، و« إبراهيم » رمز صولتها . جيوش وقواد وأذواد وأمداد . . عدد وجياد ، وفتح لسوريا والسودان والحجاز

ثم جاء « إسماعيل » ، فخر الجيل فتح المعاهد ، وأسس المساجد وبالقناة أضاف للفن آية بلغت من الفاقر أبعد غاية

وهذا « فؤاد » ربيب المجد ، حسيب الاصل كريم الجد

التوفيق حاديه ، واليمن ناديه ، والطير خافيه وباديه والشعب بالهيج مغديه . . .

نشر العلوم والمعارف فصدحت باسمه الكريم قلوب ومعازف . . .

رف عرشه على الوطن اليسار ، واخضر برفده المحل والبوار ونشأ في أحضان دولته مختار

فبعث فن القراءة من القبور . ونسخ الكتاب ودون بمنحاته السطور

ونعمته بزت النعم هى وقف على أرقى الأمم بحاربة الأمية ، وتشريع الأجبارية وفتح مئات المدارس الأزامية : وحسب أساتذتها أنهم يساهمون فى المشروع بغالى جهودهم ، ويمعنون فى الأخلاص لعرشهم . ويفاخرون بوضع بضع من نفوسهم ، فى أساس بلادهم . . والفناء فى بناء الأمم ، شيمة من أكرم الشيم ، والأصل فى تكوين أولى الهمم . . . .

لا يكون للملك جلاله ، حتى يرقى فنه ومثاله ، ويجيل العلم فيه يد العمارة ، وتبعث معارفه الحضارة . . وتروج فى أسواقه التجارة . . .

حييت يا « فؤاد » ، ذخرا البلاد . عشت يا « أمير الصعيد » فى ظل أبيك المديد . . . ؟

« جنوب الشلال »

حمزة عزيز غريب

تلميذ بالسنة الثالثة العالية البحيرة